لا تحقرن من المعروف شيئاً

يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي تفسير هذه الآية يقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي:

«هذا أدبٌ من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلسٍ من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإنَّ من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود»[(١)].

تَفْسَحُ في المكان لقادم أو محتاج فيفسح الله لك، فما معنى أن يفسح الله لك؟

قال ابن جرير الطبري: «يوسِّع الله منازلكم في الجنة»[(٢)].

وقال القرطبي: «أي: في قبوركم. وقيل: في قلوبكم. وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة»[(٣)].

وليس ثَمَّ مانعٌ أن يكون جزاء الفسح هذه الأمور كلها؛

(١) تفسير السعدي (ص٨٤٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٩).

فالله ـ سبحانه ـ ذو الفضل العظيم؛ وهذا الذي اختاره جماعة من المفسرين، منهم الرازي فقال: «هو مطلقٌ في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة»(١).

فلعلك **أيها القارئ الكريم** أن تتأمل هذا الثواب الكبير على هذا العمل اليسير!

مجرد الفسح في المكان، وهو عملٌ يسيرٌ لا يُكلِّف جُهداً، ولا يَستهلك وقتاً، ولا يَتطلب مالاً، ينال به الفاسِحُ أن يُوسَّع له في بيته ورزقه وصدره وقبره ومنزله في الجنة!

فما أعظم فضل الله، وما أجزل عطاءه، وما أكبر ثوابه!

وليست المسألة خاصة بالفسح؛ بل الأمر يشمل كل ما ينتفع به المسلم، يقول الرازي: «اعلم أن هذه الآية دلت على أن كل من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس؛ بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه»(٢).

وفي وصية الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه يقول: «لا تحقرن

---

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٤٩٤)، وينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١٩٥)، وتفسير النسفي (٣/ ٤٤٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٤٩٤).

من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق[(١)][(٢)].

وفي وصية الرسول ﷺ لجابر بن سليم رضي الله عنه يقول: «لا تحقرن شيئاً من المعروف، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط»[(٣)].

فلا تحقرن انبساط وجهك لأخيك، وبشاشتك عند لقائه؛ فلا تدري فربما رضي الله عن عملك هذا، فكنت من الفائزين؛ فهنيئاً لذوي الوجوه المشرقة المنبسطة.

وفي السُّنَّة أمثلة لأعمال يسيرة نال أصحابها بها أجوراً كبيرة؛ فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخَّره فشكر الله له فغفر له**»[(٤)].

وفي رواية: «**لقد رأيت رجلاً يتقلَّب**[(٥)] **في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس**»[(٦)].

---

(١) قال النووي: «روي «طلق» على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء؛ ومعناه: سهل منبسط». ينظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٦٣٣)، وأبو داود (٤٠٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٥) أي: يتنعم في الجنة بملاذِّها بسبب قطعه الشجرة. ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/ ١٧٧).

(٦) أخرجها مسلم (١٩١٤).

وجاء في رواية: «**نَزع رجلٌ لم يعمل خيراً قط غصنَ شوك عن الطريق؛ إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعاً فأماطه، فشكر الله له بها، فأدخله الجنة**»[١].

ما أكرم الله، هذا الرجل يتقلَّب في الجنة بسبب غصن شوك أزاله كان يؤذي الناس، فشكر الله له، فغفر له، فلا ينبغي لمريد الخير أن يحتقر إماطة حجر ونحوه عن طريق الناس، فربما كان ذلك طريقه إلى الجنة.

ومما ورد في السُّنَّة في ذلك ما رواه أبو هريرة ـ أيضاً ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**غُفر لامرأة مُومسة**[٢]**، مرَّت بكلب على رأس رَكِيٍّ**[٣] **يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خُفَّها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**»[٤].

سبحان الله، ما أوسع رحمة ربنا، وأعظم مغفرته؟! غَفر لبغيٍّ لأنها سقت كلباً كاد يقتله العطش!

فإذا كان الإحسان إلى الكلاب يغفر به الخطايا، فكيف يصنع الإحسان إلى من وحَّد ربَّ البرايا[٥]؟! لا شك أن الرحمة به أحق وأجدر.

---

(١) أخرجها أبو داود (٥٢٤٥).

(٢) **الموسة**: العاهرة المجاهرة. ينظر: فتح الباري (١/ ٢٠٧).

(٣) **الركي**: البئر المطوية. ينظر: فتح الباري (١٠/ ٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٢١)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٥) جمع بَرِيَّة، وهم الخلق. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٧١).

فركضاً إلى المعروف؛ فهو بوابة إلى تكفير السيئات.

ومما جاء في السُّنَّة أيضاً ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة؛ لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**»(١).

لقد أوجبت هذه المرأة بسبب تمرة جنةً عرضها السموات والأرض!

وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»(٢).

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنه أهدي لها سلةٌ من عنب، فجاء سائلٌ فأمرت له بحبة من عنب، ونسوة في البيت، فنظر بعضهن إلى بعض، ففطنت لهن، فقالت: «هذا أثقل من مثاقيل ذر كثير»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٩٠)، وابن زنجويه في الأموال (١٣٢٥)، وأخرجه مالك في الموطأ (٢١٠٦) بلاغاً، فإن قيل: لم تصدقت عائشة رضي الله عنها بحبة واحدة، وهي الكريمة السخية السمحة؟ =

فينبغي للمسلم ألا يحتقر أمر الصدقة ولو كانت مجرد تمرة، فربما قبلها الله، فكانت طريقك إلى السعادة العظمى.

والخلاصة أن الموفق هو من يسارع إلى المعروف؛ لا يحتقر منه قطميراً؛ لأنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها.

ولم أرَ كالمعروفِ أمَّا مذاقُهُ فحلوٌ وأمَّا وجهه فجميلُ[1]

= أجاب ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٦٠٣) فقال: «من اعتاد الصدقة تصدق مرة بالكثير، ومرة باليسير، ألا ترى أن عائشة في الحديث قبل هذا آثرت السائل بفطرها كله، وفي هذا الحديث أعطته حبة عنب»، وقال الرازي في تفسيره (٣٢/ ٢٥٧): «لعلها كان غرضها التعليم، وإلا فهي كانت في غاية السخاوة».

(١) البيت لأبي العيناء في ديوانه (ص٤٥)، ونسب إلى غيره.